

فتاة ريفية من عاملات التراجيل اغتصبها احد الفلاحين في لحظة من لحظات كفاحها المرير من اجل توفير اللقمة لاولادها وزوجها المقعد المريض ، وحملت وولدت . وخافت الفضيحة فقتلت ابنها لان زوجها يعلم والجميع ان صلتها الجسدية بزوجها مقطوعة منذ ايام مرضه . . . منذ فترة طويلة . فمن أين لها بالاولاد؟ . . . لم يكن امامها الا ان تقتل ولدها . فالموت ولا العار عليها وعلى اسرتها المسكينة . ولكن عزيزة تفشل في اخفاء سرها ، لانها رغم محاولاتها الضخمة لاختفاء السر تمزج بعد الولادة ، وتصاب بالحمى ، وتهذي وتموت .

هذه هي الحوادث الخارجية في القصة . الحوادث التي لا تكشف الحركة العميقة الحية في داخل هذه القصة . ان يوسف ادريس يحلل شخصية عزيزة بالتفاصيل الدقيقة المثيرة حتى يصل في نهاية الامر الى هدف يقنعك به اشد الاقناع . فلا تشك فيه ولا تتردد في التسليم به . ذلك الهدف هو ان الخطيئة او الحرام ليست شيئاً نابعاً من ذات الانسان . . . فعزيزة ليست شريرة ولا سافلة بطبعها ولكنها انساقت الى الحرام تحت تأثير ظروف عنيفة في المجتمع الذي تعيش فيه ، انها مثل عادة الكاميليا . ضعت بحياتها في سبيل الواجب الانساني نحو اولادها وزوجها كما ضعت عادة الكاميليا بحياتها في سبيل الحب . ولكن عادة الكاميليا كان امامها فرصة للاختيار اما عزيزة فلم تستطع ابداً ان تختار . كلما ارادت ان تسير في طريق من الطرق وجدته مسدودا واخيراً سارت في طريق كان هو الوحيد المفتوح امامها ، وكان هذا الطريق هو طريق العمل المضي ثم الفضيحة والموت والكارثة .

ان الشر ليس في داخل الافراد ، هكذا يقول لنا يوسف بنطق قوي عنيد . . الشر هو ظاهرة اجتماعية اولا وقبل كل شيء ، تظهر مع ارتباك العلاقات الانسانية وانعدام الفرص السليمة امام الافراد فالشرف والفضيلة مثل المأكل والملبس كلها